وَجَـدْتُ عَـلِـيًّـا وَابْـنَـهُ خَـيْـرَ قَـوْمِـهِ
وَهُـمْ خَـيْـرُ قَـوْمٍ وَٱسْـتَـوَى الْـحُـرُّ وَالْـعَـبْـدُ[١]
وأصْـبَـحَ شِـعْـرِي مِـنْـهُـمَـا فِـي مَـكَـانِـهِ
وفِي عُـنُـقِ الْـحَـسْـنَـاءِ يُـسْـتَـحْـسَـنُ الْـعِـقْـدُ[٢]

زيارة عن غير موعد

وسايره وهو لا يدري أين يريد به؛ فلما دخل كفرديس قال:

[مجزوء الكامل]

وَزِيَـــارَةٍ عَـــنْ غَـــيْـــرِ مَـــوْعِـــدْ
كَـالْـغُـمْـضِ فِـي الْـجِـفْـنِ الـمُـسَـهَّـدْ[٣]
مَـعَـجَـتْ بِـنَـا فِـيـهَـا الْـجِـيَـا
دُ مَـعَ الأمِـيـرِ أبِـي مُـحَـمَّـدْ[٤]
حَـتَّـى دَخَـلْـنَـا جَـنَّـةً
لَـوْ أنَّ سَـاكِـنَـهَـا مُـخَـلَّـدْ[٥]

= غرائبه لا يأتي بها إلّا عبقري أوتي فصل الخطاب وإلهام كبار الشعراء، لذا فإنه يطلب منهم التوقّف عن انتقاصه وعدم ذمّه، في حال عدم مدحه.

(١) ورغم تجوال الشاعر على ممدوحيه لم يجد خيراً من الممدوح ووالده؛ إنهما خير البشر، وما سواهما يتساوَوْن سواء أكانوا أحراراً أم عبيداً.

(٢) ينوّه الشاعر بما قدّمه لعلي وابنه من شعر رفعهما به وأشاد بمآثرهما، فكان شعره بمثابة العقد الجميل في جيد حسناء، فازدادت به جمالاً وازداد بجمالها إشراقاً وألقاً.

(٣) المسهّد: الذي أرّقه هم فلم يستطع النوم. إنها زيارة لم تخطر على بال لتلك القرية فكانت بمثابة إغماضة عين لم تعرف النوم لأرقها وكثرة همومها.

(٤) معجت: مرّت بسرعة. لحظات السرور تمرّ سريعة وبخاصة إذا التقى الأصحاب على الودّ والحبّ، والشاعر إلى جانب الأمير أبي محمد، يتبادلان حديث القلوب وينعمان بجمال الطبيعة.

(٥) ها هما يدخلان بستاناً رسمه اللّه تعالى بيد القدرة جمالاً وغنى، وما يكدّر الشاعر أن ذلك لن يدوم لصاحبه؛ فالموت آتٍ، ليحرمه نعمة التلذّذ بنعم الخالق سبحانه وتعالى.

خَضْرَاءَ حَمْرَاءَ التُّرَا
بِ كَأَنَّهَا فِي خَدِّ أَغْيَدْ(١)
أَحْبَبْتُ تَشْبِيهاً لَهَا
فَوَجَدْتُهُ مَا لَيْسَ يُوجَدْ(٢)
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْحَقَا
ئِقِ فَهْيَ وَاحِدَةٌ لِأَوْحَدْ(٣)

أنت للمكرمات أهدى

وهمّ بالنهوض فأقعده أبو محمد فقال: [مخلّع البسيط]

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ وَغْدَا
بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَا(٤)
مَالَ عَلَيَّ الشَّرَابُ جِدًّا
وَأَنْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى(٥)
فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي
عَدَدْتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْداً(٦)

---

(١) الأغيد: الليّن الأعطاف المائل العنق. يُشبه الشاعر طبيعة البستان بعذار غلام لم يبلغ الحلم وهو على وشك أن ينبت عذاره، وقد علت وجهه حمرة دلالة على وفور الصحة لديه واكتمال جماله.

(٢) و (٣) وما يدلّ على أن الجنينة في غاية الروعة أن الشاعر حاول أن يجد لها شبيهاً يقربها إلى المحسوسات الجميلة فلم يعثر على مثيل لها، ولذا فهي واحدة نادرة الوجود كصاحبها فهو واحد لا نظير له.

(٤) الوغد: الجبان الدنيء. ينظر الشاعر إلى معاصريه نظرة احتقار تفتقد إلى اللياقات الإنسانية؛ إنهم أوغاد جبناء، حتى العقلاء فيهم يقطر الغباء من عيونهم، وملوك الناس فيهم عبيد لا يستحقّون أن يُلحقوا بالأحرار لأنه لا يوجد أحرار أصلاً في رأي الشاعر.

(٥) و (٦) يخاطب الشاعر نديمه بأنه أخذت منه الخمرة كلّ مأخذ فأسكرته، حتى إنه حاول النهوض فلم يستطع، فإذا به ينوّه بمعرفته رأي الشاعر بالناس وتأفّفه حتى من مجالسة نديمه الذي طلب منه مبارحته، وقد اعتبر أن عمله هذا عطاءً محموداً لو سمح له بذلك.